

”سجين الحرم“: حكاية 200 يوم في سجون آل سعود



التغيير

أصدر الكاتب والناشط السياسي سلطان العبدلي كتابا جديدا تحت عنوان ”سجين الحرم“، روى فيه تجربته في سجون آل سعود في ظل الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

استهلّ المؤلف كتاب سجين الحرم بالحديث عن حبه للمدينة المنورة، مسقط رأسه، مستعرضاً ذكريات الطفولة، وهيامه بها حتى الآن، إلى حد أنه يتألم لبعده عنها.

وتطرق العبدلي إلى جرائم آل سعود بحق التراث الإسلامي للمدينة المنورة التي سكنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأيضاً التراث العمراني الذي شيّده العثمانيون، وغيرهم، ثم الهدم الممنهج لكل ما يتعلق بآثار المدينة وقصورها ومساجدها من خلال استخدام الفتاوى المتطرفة، حتى غيّروا معالمها

بالكامل ودرّسوا تاريخها .

وعبر الكاتب من خلال كتابه عن مدى حبّه للداعية الإسلامي الشيخ سلمان العودة، لما وجده فيه من شجاعة وتواضع وبلاغة .

ويشير إلى تأثيره بدعاة آخرين، أمثال القرآينة الأربعة وهم: موسى، عوض، عايض وعلي.

يروى العبدلي بداية نشاطه الفكري والثقافي في محافظة عنيزة، حيث درس في المعهد العلمي الكائن بجوار المحكمة الشرعية والأحوال المدنية. وفي هذه المدينة، وزّع قصيدة أبا بلال "حرية الرأي".

توجّه مؤلف كتاب سجين الحرم للتسجيل في جامعة القصيم من منطلق حبه للشيخ العودة، إلا أنه وما إن دخل الجامعة، حتى سمع باعتقال الشيخ، وهو الأمر الذي أثار الإحباط في نفسه خاصة بعدما ترك المدينة كي يكون على مقربة منه. ثم عاد إلى المدينة، ودخل إلى كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية، حيث كان يتم نفي واستبعاد المشايخ إلى خارج البلاد.

عام 1997، كانت مرحلة أهدأ كما يصفها الكاتب، وهو العام الذي تزوج فيه، والتحق بوزارة الأوقاف، في جامع كبير، مكث فيه لخمس سنوات، بقي فيه عاكفاً في مكتبته يستفيد ويتواصل مع العلماء، تمكن خلالها من إنجاز بحث الفقه الحنبلي، إلى جانب شرح وتفسير العديد من المؤلفات الإسلامية.

وفي أثناء العدوان الأمريكي على أفغانستان، صادف أن قام العبدلي بالدعاء على المعتدين على أهالي أفغانستان المستضعفين، أثناء القنوات في الصلاة فتلقى تحذيراً اضطر بعده إلى توقيع التزام بمنع الدعاء على المعتدين، إلا أنه عاد وقت في صلاة اليوم الثاني، فتلقى بلاغاً بعد فترة من مكتب وزير الأوقاف مباشرة ورد فيه أنه طُرد من المسجد.

وبعدما أضاء الكاتب على أبرز مفاصل حياته يوصلنا إلى التجربة الأهم التي عايشها في المملكة وهي دخوله إلى سجن الحائر في 2005 حيث مكث فيه لمدة 200 يوم، وهي التجربة التي امتزجت بالألم واللوعة والبشرى والتركية في نفس الوقت على حد قوله.

وهناك قابل الكثيرين من الشبان الذين يقبعون في السجون منذ أكثر من عشر سنوات بسبب محاكمات طالمة. من هنا، انطلق الكاتب في سرد المعاناة المريرة التي يعيشها السجين في سجون آل سعود.

يقول العبدلي، إن السجين لا يحصل على أدنه حقوقه في السجن، لا سيما الخروج إلى المستشفى إلا بعد خروج روحه، وتقطع أوصاله، إذ بقي يتألم أياماً وليالي دون أن يحصل على علاج.

وهو على خلاف ما يتم الترويج له عبر قنوات النظام، أي الزعم بأن السجون بالحائر فيها تلفزة والمساجين لديهم استديو وقناة تلفزيونية خاصة بهم، وأيضاً مشفى خاص بهم وعندهم أنشطة إعلامية وثقافية وما إلى ذلك.

واعتقل العبدلي في شهر رمضان المبارك الموافق 12 أكتوبر 2005. كان حينها قد صلاّ صلاة الفجر في منزله، وتهيّأ لإنهاء أحد الكتب التي شرع في قراءتها.

في تلك الأثناء، شعر الناشط السياسي أن مكروهاً سيطاله، خاصة وأنه كان في تلك الفترة في أوج نشاطه الفكري والثوري، وكانت تعتمل في نفسه أفكار الحرية والإصلاح والاستقلال كشاب ثلاثيني يعيش هموم بلاده العربية، ويتأثر بها.

بعد الصلاة طرق صاحب البناية عليه الباب، ليعلمه أن مولد الماء لا يعمل، فذهبا سوياً إلى فناء البناية وهناك التقيا بشخص غريب سألهما إذا ما كان لديهما شقة للإيجار.

واشتد في نفسه الشك، لما قابله في ذلك الفجر، إذ لم يكن السؤال في مثل تلك الساعة المبكرة، لا عن مولد ولا عن إيجار أمراً طبيعياً. ثم عاد إلى منزله، ليستكمل قراءة كتاب "الحرية"، وإذ بالباب يطرق مرة أخرى فامتلاً قناعة أن الحدس بدأ يتحقق، فنظر من عدسة الباب ليرى من الطارق فوجدها مظلمة، فأيقن حينئذ أن كل توقعاته قد تحققت.

هو نفسه من كان يسأل عن شقة للإيجار، داهم شقة الكاتب، وحاصره بمجموعة من المسلحين حتى لا يتمكن من الهروب. فجهّز الناشط نفسه لمرارة ما سيلقاه، وأجرى اتصالات هاتفية بأهله ليعلمهم بما يجري، ثم اتجه بعدها للوضوء، وما إن توضع حتى اصطفت أمام منزله ترسانة عسكرية وأفراد مسلحين، بانتظاره لينقضوا عليه ويعتقلونه مقيّدين اليدين والرجلين.

واستفزّ هذا التصرف الكاتب فواجههم بالقول: "هذا أنتم من يوم ما عرفناكم، طبائعكم وعاداتكم لا تختلف، لو اتصلتم بي لجئتمكم لأنه ليس لدي ما أخشاه".

الزنزانة الباردة عند وصول الكاتب إلى مقرّ سجن المباحث في المدينة المنورة، وقبل إنزاله للمكان الذي فكّر أنه سيكون فيه، وكيف سيخرج منه لاحقاً، أُدخل إلى المبنى، وجرى وضع قناع على وجهه، صعد عدة درجات، ثم مشى قليلاً ليستقر أمام مدير شؤون النزلاء المدعو الملازم سعيد، والذي قام بتهديده للاعتراف.

بعد نزع جميع محتوياته الشخصية، جاء جلاوزة النظام وأنزلوه إلى قبو أسفل البناية، حيث السجن لم يكن مهياً كسجن مركزي إذ كان قد جرى تجهيزه سريعاً بين عامي 2004 و2005.

وهناك مضوا به إلى مكان يصفه الكاتب بأنه لا يمتلك أدنى مؤهلات المهجع الكريم التي تليق بنزيل في فندق ربع نجمة. يستفيض الكاتب في وصف الغرفة التي اعتقل فيها.

يقول أن أرضها وجدرانها ملبسة بالسيراميك، ومساحتها لا تتجاوز أن تكون أكثر من خمسة أمتار مربعة. مشكلة هذه الغرفة أنها صغيرة وفيها تكييف، وليس فيها نافذة ما جعلها تبدو كأنها ثلاجة.

وعانى مؤلف سجين الحرم لهذا الحال جداً بسبب مرض الروماتيزم الذي يعاني منه إذ أدى الجو البارد إلى مضاعفة آلامه. وقد كانت الغرفة فارغة من كل شيء، حتى أن الوسادة كانت حلماً صعب المنال كما يصف العبدلي.